الحل لمشكلة الخطية
(١يوحنا ١: ٥-٢:٢)

عندما يصبح الشخص مسيحياً لا يتخلص من مشاكل الحياة القديمة. يمرض المسيحيون ويموتون، يفقدون مهنهم، وتُمنى أعمالهم بخسائرجمة. وتخيب آمالهم بما يختص بعلاقاتهم الشخصية. ولهم مشاكل أُسرية. ولكن أكبر مشكلة يمكن أن تكون للمسيحي لا تكون بين المشاكل الصحية، أو المشاكل المالية، أو المشاكل الأُسرية.

قد تم خلاص المسيحي من الخطية. عندما آمن بيسوع (يوحنا ٨: ٢٤)، وتاب عن خطاياه (لوقا ١٣: ٣)، واعترف بإيمانه (١تيم ٦: ١٢)، واعتمد بالمسيح (غلاطية ٣: ٢٧)، نال غفران الخطايا (أعمال ٢: ٣٨). وحينذاك وُلد ثانيةً، وقد ضم إلى كنيسة الرب، وخُلص.

ومع ذلك يستمر المسيحي في عمل الخطية! رغم انه قد خُلص منها ، إلا ان خلاصه لا يمنعه من ارتكاب الخطية ثانية. ما زالت مشكلة الخطية تتصيده. قد يحاول حل « مشكلة الخطية » بإحدى هذه الطرق الثلاثة: (١) قد يقرر بانه ما دام يخطيء، هذا يعني بانه لم ينل الخلاص أبداً. فاما ان يرجع إلى العالم أو يطلب الخلاص مرة أخرى بمعمودية أخرى. (٢) قد يقرر بانه ما دام لا يستطيع العيش بدون خطية فمن الافضل له أن يتخلى عن الفكرة ان يصير مسيحيا. انه سـ « يكف عن » المسيحية معتبرا نفسه ضعيف جداً، ولا قيمة له أبدا ليكون ابنا لله. (٣) قد يقرر بانه ما دام يخطيء فيجب عليه ان يكف عن القلق ويستمتع نفسه. وبهذا يبقى المسيحي يعيش باستمرار في الخطية.

لا توجد إجابة علي أية من هذه الظنون. يعطي الكتاب المقدس حلاً، وخاصة في رسالة يوحنا الأولى ٢: ١ و٢ بالإضافة إلى مفهوم نصها، يعطي يوحنا حلاً لمشكلة الخطية. انه يضع أربع نقاط تختص بالخطية وبالمسيحي.

لا ينبغيعلي المسيحي أن يخطيء

يقول يوحنا: « أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا » (١ يوحنا ٢: ١). (أنظر أيضا ١ يوحنا ٢: ١٥ و١٦؛ غلاطية ٥: ١٩-٢٢؛ رومية ٦: ١٢-١٤).

يحتاج قُرّاء رسالة يوحنا إلى هذا الخبر. يبدو ان بعضهم كانوا قد قبلوا بدعة تسمى « الغنوسطية »[1] في أطوارها الأولى كانت هناك أشكال كثيرة من الغنوسطية، ولكن تشترك جميعها في انهم كانوا يعتقدون بان الجسد شر بكل ما له من صلة؛ ولكن الروح صالح بكل ما له من صلة.

هذا يقود الغنوسطيين لاهوتياً ان يستخلصوا بان يسوع لم يكن بالحقيقة الله في الجسد. بما ان الله روح، فهو صالح جداَ بحيث لا يمكن أن يقيم في الجسد الشرير والأثيم. لهذا قد يقولون بان المسيح بدى كما لو كان في الجسد (أنظر ١ يوحنا ٤: ٢ و٣).

اخلاقيا هذا هو نوع الإيمان نفسه الذي قاد الغنوسطيين ليتخذوا وجهتي نظر مختلفتين. يجادل البعض بانه ما دام الجسد شر، فان مهمة المسيحيون هو انكار الجسد، أو حتى تشويهه. قد يعرض هؤلاء أنفسهم إلى الجو الشديد البرودة، أو إلى جوع، أو يجرحوا أنفسهم بالحجار. ومن ناحية الحد الأقصى الآخر، كان هناك من يجادلون بان الجسد لا يأثر حقاً على

الروح الساكن فيه. فهم يؤمنون بانه يمكن للمسيحي أن يعيش كما يشاء – قد يكون شريب الخمر، أو أكولاً، أو زانياً – دون أن يضرر ذلك في أي شيء. كل ما في الأمر على كل حال هو حالة الروح التي قد يكون جيد وقريب من الله، بغض النظر عما يفعله الجسد.

لعل بعض من الذين كتب إليهم يوحنا كانوا يتمسكون بوجهة النظر هذه، لأن يوحنا يقول: « ... الله نور وليس فيه ظلمة البتة. إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١ يوحنا ١: ٥ و٦).

لا بد أنهم قالوا: « نحن في شركة مع الله. فسادنا ليست مشكلة، لأن أرواحنا طاهرة ». فأجاب يوحنا قائلاً: « أنتم تعيشون حياة الكذب. لا يمكن ان تكونوا في شركة مع الله ما دمتم تعيشون بطريقة متناقضة مع طبيعته وكلمته. لا يمكن ان تكون روحك طاهرة إذا كانت أعمالك غير طاهرة ».

ربما نحتاج إلى هذه الرسالة أيضاً: لا ينبغي أن نخطيء! يعرف بعض المسيحيين انهم يخطئون، ولكنهم لا يبالون بخطاياهم، إذ يقولون: « أعلم بانني أشتم عندما انزعج، ولكن هذه طبيعتي »؛ « نعم افقد اعصابي احياناً كثيرة، وأحياناً أضرب الشخص الذي أزعجني، ولكنك تعرف هذه تصرفاتي! » عندما يقول المسيحيون مثل هذه الكلمات، يقولون بموجب هذا انهم يخطئون عمداً، دون ان يحاولوا وضع حداً لخطيتهم. يجب على هؤلاء المسيحيين أن يدركوا بان الله لا يريد لهم ان يخطئوا!

تخبرنا رسالة يوحنا الأولى ١: ٥ و٦ أيضاً عن السبب الذي بموجبه لا ينبغي على المسيحي أن خطيء. يقول يوحنا بانه غير مناسب لنا نحن الذين في شركة مع الله الذي هو نور ان نسلك في الظلمة أو في الخطية.

يقول يوحنا ما بمضمونه: لا ينبغي على المسيحيين أن يخطئوا لأنه غير مناسب للشخص الذي في شركة مع الله ان يخطيء! إن كنت تبحث عن سبب لتعطيه للآخرين عن عدم مشاركتك لهم في الخطية، فهو: لا يفعل المسيحيون مثل هذا! ليست الخطية سلوكاً جيداً للمسيحي.

مع انه لا ينبغي على المسيحيين أن يخطئوا، إلا انهم يخطئون

يقول يوحنا: « أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد، ... » كان هناك أحتمال كبير بان المسيحي قد يخطيء. فقد استخدم يوحنا تعبير قوي في هذا السياق، إذ قال: « إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا ... إن قلنا إننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا » (١ يوحنا ١: ٨-١٠). من الواضح انه يمكن للمسيحيين أن يخطئوا. الفرق بين المسيحيين وغير المسيحيين ليس في ان غير المسيحيين خطاة والمسيحيين غير خطاة. بل في ان المسيحيين هم خطاة مخلصين بالنعمة، واما غير المسيحيين فهم خطاة لا غير!

المعرفة بانه يمكن للمسيحيين ان يخطئوا ومع ذلك يبقوا مسيحيين قد تساعد التلاميذ الأفراد. إذا سبق انذارهم بانه يمكن للمسيحيين ان يخطئوا، فلا ييأسوا كثيراً عندما تتغلب عليهم الخطية أحياناً. أنت كمسيحي هل تخطيء؟ هكذا أيضاً كل مسيحي آخر! لا تتخلى عن المسيحية لأنك تخطيء. ارتكاب الخطية لا يقود إلى الدينونة حتماً، بل التخلي عن المسيحية هو الذي يقود إلى دينونة محتومة.

ولكن الادراك باننا نخطيء يخلق مشكلة. ألا يوجد شيء من التناقض في القول بانه لا ينبغي لنا ان نخطيء، ونحن نخطيء؟ إن لم ينبغي علينا ان نخطيء، ومع ذلك نخطيء، فكم من الخطية يمكن ان نرتكبها « دون ان نُحاسب عليها » ونبقى مخلصين أبدياً؟ يساعدنا يوحنا في حل هذه المشكلة ومشكلتين أخرتين في أصعب النصوص في رسالة يوحنا الأولى:

> كل من يثبت فيه لا يخطيء. كل من يخطيء لم يبصره ولا عرفه. أيها الأولاد، ... من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطيء ... لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله

(١ يوحنا ٣: ٦-٩).

نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطيء ... (١ يوحنا ٥: ١٨).

هل يقصد يوحنا بانه يستحيل على المسيحي أن يخطيء؟ من الواضح انه لم يقصد ذلك، لأنه إن كان يقصد ذلك لتناقض ذلك مع ما قاله في (١ يوحنا ١: ٨ و١٠؛ ٢: ١). فماذا يقصد إذن؟

تكمن الإجابة علي ذلك السؤال في صيغة الفعل في اللغة الأصلية. هذه الأفعال كتبت هي في صيغة المضارع في اللغة اليونانية، وتحمل معها فكرة استمرار الفعل. ما كان يقوله يوحنا حرفياً هو:

كل من يستمر في الثبوت فيه لا يستمر في ممارسة الخطية ...
كل من يستمر في ممارسة الخطية فهو من إبليس ...
كل من هو مولود من الله لا يستمر في ممارسة الخطية ...
لا يستطيع الاستمرار في ممارسة الخطية لأنه مولود من الله ...
كل من ولد من الله لا يستمر في ممارسة الخطية

يعلم يوحنا هنا بان المسيحيين يخطئون، نعم، ولكنهم لا يستمرون في ممارسة الخطية! لا يتخذون الطية كعادة. ليست الخطية صفتهم الرئيسية ولا المبدأ الذي يسيرون عليه ولا هي نزعة بارزة في حياتهم. يصور المسيحي كالشخص الذي يجتهد لكي لا يخطيء، ولكنه يستسلم أحياناً إلى إغراء الخطية. يرجع ويسلك في سبل الله، ولكنه يعثر أحياناً ويسقط. ان هدف حياته وغايتها هي البر. ونادراً ما يستسلم للخطية.

يمكنك ان تفكر في ما يفعله الرياضي أو الفريق الفائز كمثال توضحي، لاعب أو فريق كرة القدم الذي يفوز بلقب البطولة لا يحرز هدف كل مرة يصوب فيها الكرة نحو مرمى خصمه. وأفضل لاعب أو فريق كرة السلة أيضاً لا يهدف كل مرة يقذف بالكرة نحو سلة خصمه، ولكنه يلعب بطريقة أفضل من معظم الآخرين ويحرز أهداف كافية للفوز بالمباراة.

هكذا الحال أيضاً مع المسيحي: لا يتغلب على الخطية دائماً، ولكنه يتغلب أكثر مما يستسلم. بالرغم من انه يخسر صراعه مع التجربة أحياناً، إلا انه لا يجعل من هذا تعويداً. فان غرض وإتجاه حياته هو بر وليس خطية.

يجب على المسيحي أن يدرك بانه لا ينبغي ان يخطيء، ولكنه سيخطيء، وعندما يخطيء لا حاجة إلى اليأس، بل هناك سبب يجعله يقوم ويقف ويحاول ان يعيش حياة البر مرة أخرى.

عندما يخطيء المسيحيون يعطي الله الدواء

يقول يوحنا: « ... وإن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الآب: يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يوحنا ٢: ١ و٢).

يوصينا يوحنا بان لا نخطيء، ولكننا نخطيء. هذا خبر غير سار بالطبع. ومن ثم يأتي الخبر السار: قد دبر الله لكي يغفر لنا عندما نخطيء! هذا يعني بانه بالرغم من انني قد اكون خاطيء، فيمكن ان تُغفر لي خطاياي، وأستطيع ان أمضي إلى السماء!

بأية وسيلة تتم هذه المغفرة؟ تدبير الله هو ببساطة: يسوع المسيح. و شفيعنا، أي الذي يتوسل إلى الآب عنا. وهو كفارة لخطايانا - « الذي به تُغْفَر الخطايا». غُفرت لنا خطايانا بدمه (١ يوحنا ١: ٧).

على أي أساس يكون لنا رجاء للغفران وللخلاص الأبدي؟ هل على أساس صلاحنا الذاتي؟ هل على أساس أعمالنا الصالحة؟ هل على أساس اننا نعيش حياة مسيحية كاملة؟ كلا! بل على أساس نعمة الله المعطاة لنا ودم يسوع المسيح! غفرت لنا خطايانا ليس بسبب ما عملناه لله، بل بسبب ما عمله الله لنا!

ينبغي على المسيحيين أن يفعلوا شيئاً لكي يقبلوا دواء الله لخطاياهم

يوضح يوحناً بان المغفرة التي يمنحها الله للمسيحيين هي شرطية. ينبغي على

المسيحيين أن يفعلوا شيئاً لينالوا هذه المغفرة.

لا ينبغي ان نذهل بسبب هذا. نحن مخلصين بالنعمة أساساً، ولكن هذا يتم فقط عندما نقبل تلك النعمة بالوفاء بشروط الغفران: اي عندما نؤمن، ونعترف، ونتوب، ونعتمد. إذن من المعقول ان يُطلب منا ان نفعل شيء لكي نكون مخلصين على الدوام بالنعمة بالمسيح.

ولكن ماذا يطلب الله من المسيحيين لكي يغفر لهم؟ ماذا ينبغي أن نفعل لكي نبقى مخلصين؟ قد حاولتُ التفكير بثلاث أو أربع نقاط لاستخدمها تحت هذا العنوان، ولكني حددتُ أخيراً بان الله يطالبنا بشيء واحد فقط – وليس بثلاثة أو أربعة – لننال مغفرة خطايانا! يخبر يوحنا عما يمكن ان يكون ذلك الشيء الواحد في (١ يوحنا ١: ٧). الشيء الوحيد الضروري للمسيحي لكي يُطهر من خطاياه هو أن «يسلك في النور»!

ولكن قد يعترض شخص ما ويقول: «ماذا عن التوبة – أهي ضرورية؟» نعم، انها ضرورية: ينبغي على المسيحي أن يتوب عن خطاياه (أعمال ٨: ٢٢). ولكن إذا كان يسلك في النور، فهو يتوب باستمرار. طبعاً، يقول يوحنا في هذا النص بانه: «إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١ يوحنا ١: ٩). ولكن إذا كان المسيحي يسلك في النور، فسيعترف بخطاياه دائماً إلى من يهمهم الأمر. «وماذا عن الصلاة؟ ألا يجب على المسيحي أن يصلي لأجل المغفرة؟ »بالطبع (أعمال ٨: ٢٢). ولكن المسيحي الذي يسلك في النور، يصلي دائماً لأجل المغفرة. إذن «السير في النور» يشمل على توبة، اعتراف بالخطية، وصلاة لأجل المغفرة. لهذا لا يجب على المسيحي القيام بثلاثة أشياء فقط لكي ينال مغفرة. بل ان هناك شيء واحد فقط ضروري، وهو: «أن يسلك في النور».

ولكن ما معنى ان «يسلك في النور»؟ هذا لا يعني «حياة بلا خطية» لو كان يعني ذلك، لقال يوحنا: «إذا كنا نعيش بلا خطية، يطهرنا دم يسوع من كل خطية». لو كنا نعيش بلا خطية لما كانت لنا خطية لتُغفر لنا! إذن السير في النور لا يعني العيش بلا خطية.

إذن ماذا يعني؟ يبدو لي بانه يمكن أن يعني السعي بالجهد إلى حياة حسب نور كلمة الله.

«السعي بقوة» هو المفتاح للسير في النور. لا يعيش المسيحي بلا خطية، ولكنه يسعى دائماً ليعمل ما هو أفضل للقيام بمشيئة الله. قد يعثر أحياناً ولكنه يعمل دائماً لبلوغ ذلك الهدف. إذا يفعل ذلك، نؤمن بان الله يقبله كمن يسلك في النور.

إن كنا نسلك في النور، يكون لنا هذا الوعد المبارك: «دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية». هنا نجد مرة أخرى صيغة الفعل المستمر، وُضِعَ التشديد على الفعل المستمر. يمكن ان نتَرجم هذا بالطريقة الآتية: «إن استمرينا نسلك في النور... فلنا شركة مستمرة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا باستمرار من كل خطية». نحن كمسيحيين الذين نسلك في النور، نسلك باستمرار في وابل من دم المسيح المطهر! حالما نخطيء، يطهرنا دم المسيح ويغفر الله لنا.

ذلك يعني بانني إذا كنتُ مسيحيا أسعى جادا لأعمل مشيئة الله، فلا يجب عليّ أن أقلق بانه إذا مر بخاطري أفكار غير سليمة يوم ما ثم أصبتُ بنوبة قلبية وتوفيتُ قبل أن أجد فرصة لأصلي لأجل المغفرة، سأمضي إلى الجحيم بسبب تلك الخطية الواحدة التي لم أُصلي من اجل ان تغفر لي! بل بالحري أفرح دائماً علماً بانني إذ اسعى دائماً لأطيعه، يغفر يسوع خطاياي باستمرار، ويجب ان اكون مطمئناً من انني سأمضي إلى السماء!

الخلاصة

يبقى سؤالا واحدا الا وهو: هل تسلك في النور، وتسعى جاهدا لعمل مشيئة الله بالطريقة التي يطلبها الله؟

إن كنت أعرفك جيداً، لكنت أعرف ما إذا كنت تسلك في النور. على الأقل، يبدو لي بانه عندما لا يرغب المسيحيون في قراءة الكتاب

المقدس أو في الصلاة، وعندما لا يذهبون إلى خدمة العبادة بطريقة منتظمة. وعندما يشاركون في الأعمال الدنيوية، هذا يعني بانهم لا يسعون جادين لفعل كل ما بوسعهم لكي يعيشوا لله. قد يكون تقديري خطأ عندما يتعلق الأمر بك.

من ناحية أخرى، حتى ولو لا أعلم يقيناً ما إذا كنت تسلك في النور أم لا، فأنت تعلم ذلك، ألست تعلم؟ أنت تعلم ما إذا كنت تسعى بالجهد لتعيش حسب كلمة الله أم لا. يمكنك أن تخدع الآخرين، ولكن ربما لا يمكن أن تخدع نفسك.

يوجد من يعلم. الله يعلم إذا كنت تسلك حقاً في النور، وتسعى بالجهد لتتبعه. قد تخدع الآخرين، حتى لو خدعت نفسك أيضاً، لا يمكنك ان تخدع الله! هو يعلم مقدار ما يتوقعه منك. هو يعرف قلبك وإذا كان في نيتك هي ان تفعل كل ما بوسعك لتعيش حسب كلمته. السؤال الحقيقي هو: ماذا يعرف الله {عنك}؟ وكيف يراك؟

---

[1] الغنوسطية أو مذهب العرفان: الاعتقاد بان الخلاص بالمعرفة الروحية دون الإيمان.